

## محاضرات مادة (المنظمات الدولية) للمرحلة الرابعة

أ.م.د. ليث الدين صلاح حبيب

### التطور التاريخي للمنظمات الدولية

تعد المنظمات الدولية وليدة القرن التاسع عشر بالتزامن مع تبلور فكرة الدول القومية وتطور مفهوم المصالح والعلاقات الدولية. إذ أن تطور هذه العلاقات يقتضي وجود تنظيم لها ، وذلك لأن حالات الحرب والسلم تتطلب إطاراً معيناً تحل في نطاقه تلك الحالات.

فلو عدنا إلى الحقبة الزمنية التي سبقت القرن الرابع عشر لوجدنا أن المجتمعات كانت صغيرة منغلقة تعيش حالة من الاكتفاء الذاتي وكان هذا منطقياً في ظل تباعد المسافات بين تلك المجتمعات مع قلة وسائل الاتصال بل وحتى انعدامها في بعض الأحيان ، ولذلك لم يكن من المتصور قيام احتكاك أو اتصال ولو بشكل بسيط بين تلك الجماعات ومن ثم لا يمكن الكلام عن علاقات بين تلك الجماعات ، غير أن تطور تلك الجماعات من خلال :

١ ازدياد عدد نفوسها واستقرارها...

٢ دخول التنظيم السياسي على حياتها...

٣ وجود وسائل وآليات الاتصال والانتقال وتطورها (أدى إلى تقاربها ومن ثم احتكاكها ، أما بصورة التناقض والصراع أو بصورة التعاون.

ان شكل الاحتكاك الأول كان بصورة الصراع، اذ احتاجت المجتمعات البدائية إلى التوسيع والانتشار ولجأت إلى صيغة العنف والحروب الطاحنة أما دفاعاً عن النفس أو لتحقيق مصالح مادية عبر الغزو. ومثلت هذه الواقع الصورة الأساسية لنمط العلاقات الدولية التي طلبت إيجاد نوع من المعالجات لتنظيم تلك الأمور كالهدنة وانهاء القتال وتبادل الأسرى ودفع الفديات والتعويضات والصلح....

ومن الجانب الثاني، دفعت الصراعات والحروب بالعلاقات الدولية باتجاه صورة أخرى هي صورة التعاون بينها والمتمثلة بالاتفاقيات والتحالفات لتحقيق القوة المادية اللازمة للحصول على المكاسب عن طريق الهجوم أو الدفاع عن النفس من أجل البقاء والاستمرار.

وشكلت هاتان الحالتان (أي التناحر والتعاون) نوعاً من العلاقات البدائية التي لم ترق إلى مستوى العلاقات السائدة الآن بين الدول. لكنها مثلت البداية ، إذ أن وجود هذه العلاقات إنما يقتضي بالضرورة وجود تنظيم لها يتلاءم معها ، ذلك لأن حالات الحرب والسلم والهدنة والاحلاف والاتفاقيات تتطلب إطاراً معيناً تحل في نطاقه تلك الحالات ، غير أن ذلك لا يعني حتماً وجود منظمات تقوم بهذا الدور ، لأن المنظمات هي صورة من صور التنظيم الدولي ووسيلة من وسائله وليس هي التنظيم ذاته.

واستمر الحال على ذلك حتى القرن الرابع عشر ، إذ بدأت الدعوات بالتصاعد لإيجاد منظمات دولية تضم بصفة الثبات والاستقرار لتنظيم العلاقات بين الدول ، وتم فيما بعد طرح العديد من المشاريع لذلك ومنها على سبيل المثال :-

١ - مشروع الوزير الفرنسي (سلبي) سنة ١٦٠٣ م لإنشاء جمهورية مسيحية كبرى تضم شعوب أوروبا جميعها.

٢ - معاهدة صلح وستفاليا (Westphalia) في عام ١٦٤٨ وهي من أهم المعاهدات آنذاك في تنظيم العلاقات بين الدول ، إذ تمخض عنها جملة قرارات منها:-

أ انهاء الحروب الدينية بين الكاثوليكي والبروتستانت والمساواة بينهم وإتاحة الحرية الدينية. -

ب التأكيد على سيادة الدولة على إقليمها وعدم الاعتراف بالسيادة الدينية. -

ج إنشاء سفارات دائمة. -

ويعبر هذا المبدأ الأخير عن حقيقة أساسية تتمثل في رغبة الدول في إقامة علاقات التضامن والتعاون من أجل تحقيق مصالحها .

وكانت تلك الدعوات والمشاريع مدفوعة بعوامل متعددة منها:-

١ - الحاجات الإنسانية إلى الاستقرار والامان وذلك لكثرة الكوارث التي أصابت تلك المجتمعات نتيجة الحروب والاقتتال ، في حين لم تكن التحالفات أو الصلح أو الاتفاقيات لمنع وقوع الحرب والقتل بل هي تحاول اصلاح اضرارها فضلاً عن كونها حلولاً وقتيّة غير ملزمة لا تضمن بقاء حالة الأمن والسلم.

٢ - معرفة المجتمعات الإنسانية بأنواع من المعاهدات التضامنية والتحالفات التي فتحت الطريق لإيجاد نوع من المؤسسات التي تحقق الاستقرار لتلك الدول.

٣ - الأديان السماوية والدور الذي مارسته من خلال إيجاد الأرضية للتقرب بين معتقداتها والتي تقوم على مبادئ التعاون والسلام والاحتكام للعقل والمنطق. فعلى الرغم من استغلال رجال الكنيسة الديانة المسيحية لغير إيجاد روابط المحبة والخير ، ولحساب مصالحهم ، إلا أن المسيحية بحد ذاتها أوجدت سبباً لقيام تكتلات تقوم في إطارها وهو ما تطور إلى منظمات في فترات لاحقة.

أما الإسلام فقد كان عاماً أساسياً في تجسيد روابط مبنية على أساس مبادئ إنسانية كالتعاون والمحبة والصدق والوفاء بالعهد والعدالة... قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

إن هذه العوامل وغيرها هي التي رسخت الدعوة لقيام منظمات دولية ، ولكن ما تم طرحه حتى القرن التاسع عشر كان مجرد مشاريع، إذ بدأت الدول الأوروبية بعد الحرب النابليونية تضع فكرة إيجاد منظمات دولية موضع التنفيذ، وذلك عن طريق المؤتمرات. فشهدت أوروبا بشكل خاص عقد مؤتمرات خلال الفترة الممتدة منذ انهيار فرنسا ونفي نابليون خارج أوروبا.... وحتى الحرب العالمية الأولى ومنها على سبيل المثال مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ للدول المنتصرة على نابليون (بريطانيا ، بروسيا ، روسيا ، النمسا) ثم تعددت المؤتمرات بعد ذلك في الدول الأوروبية ومنها مؤتمر : (برلين ١٨٧٨ ، لاهاي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ ، ١٩١٢ - ١٩١٣).

وعلى الرغم من أهمية هذه المؤتمرات إلا أنها لم تكن كافية لتحقيق الأمن والسلم والتعاون الدولي وذلك

لأسباب منها:-

١ - أنها تعقد لتحقيق غايات محدودة ، فهي وقنية لمعالجة حالات آنية وتنتهي بمجرد بلوغ الغرض منها أو استحالة تنفيذه.

٢ - غالباً ما يكون انعقادها بعد وقوع الحدث ، ومن ثم فحلولها علاجية وليس وقائية وبخاصة في حالة الحرب.

٣ - لا ينبع عنها أجهزة لمتابعة تنفيذ قراراتها ، لذلك يبقى الكثير من هذه القرارات حبراً على ورق.

عزز قصور نظام المؤتمرات الدولية من فكرة إنشاء المنظمات الدولية الثابتة المستقرة، لكن فكرة التنظيم الدولي السائدة في القرن التاسع عشر هيمن عليها الطابع الإقليمي العنصري، لذلك ظهرت تلك المنظمات على أساسين هما :-

أولاً: منظمات إقليمية تقتصر العضوية فيها على الدول الأوروبية فقط استنادا إلى المؤتمرات المشار إليها سابقا ، بالإضافة إلى قارة أمريكا التي نظمها مؤتمر بنما عام ١٨٢٦ .

ثانيا: منظمات متخصصة غالبا ما يقتصر نشاطها على القضايا الفنية وليس السياسية وذلك بسبب تمسك الدول -

بمبدأ السيادة المطلقة ورفضها أن تعرّض قضيّاتها السياسيّة على منظمات دولية.

واقتصر ظهور هذه المنظمات المتخصصة على :-

١ - منظمات التحكيم الدوليّة نتيجة لكثرّة المنازعات ، وأول معاہدة وضعّت أسس التحكيم هي اتفاقيّتي لاهاي التي ظهرت على أثرها محكمة التحكيم الدوليّة الدائمة عام ١٩٠٠ .

٢ - اللجان المنظمة للأنهار الدوليّة وتتركّز مهمّتها على تنظيم الملاحة في بعض الأنهر الدوليّة مثل لجنة الدانوب عام ١٨٥٦ بعد حرب القرم.

٣ - اللجان الإداريّة وكانت تهدف إلى تحسين مج الات الاتصالات والتطورات العلميّة مثل اتحاد البريد العالمي عام ١٨٧٨ .

واستمرّ واقع المنظمات على هذا المنوال حتّى القرن العشرين ، إذ ظهرت منظمات عالميّة العضويّة (ليست إقليميّة) وعامة الأهداف (غير متخصصة بجانب واحد) ، وفي أعقاب الحرب العالميّة الأولى تم إنشاء عصبة الأمم ثم ظهور الأمم المتحدة بعد الحرب العالميّة الثانية.

واستنادا لما تقدّم يمكن القول أن ظهور المنظمات الدوليّة وتطورها يعود إلى عاملين أساسيين هما:-

١ - حالات الصراع والحروب التي عاشتها أوروبا وعجز سياسة المؤتمرات والالحالف وقصورها في تحقيق الأمن والسلم الدوليّين.

٢ - التطورات العلميّة والتكنولوجيّة وبخاصة في الميدان الاقتصادي وما لعبته من دور في التقارب بين القارات.

تكمّن أهمية المنظمات الدوليّة في وقتنا الراهن في الدور الذي تمارسه في العلاقات الدوليّة وذلك من خلال:-

- ١ - إنها المكان الذي تلتقي فيه الدول لمناقشة الأمور التي تهمها على أساس رابطة العضوية.
- ٢ - ال拉斯هام في حل المشاكل الدوليّة في المجالات المختلفة وبخاصة منها التي تهدّد الأمن والسلم الدوليّين.
- ٣ - إنها أداة من أدوات تقيين قواعد القانون الدولي وتطويرها من خلال ما تضعه من معاهدات واتفاقيات تشكّل مصدراً من مصادر القانون الدولي العام.